مجلـــة آفـــاق سينمائيـــة الـــمجلد:08 العـــدد: 03 السنة: 2021 ص – ص: 284-297

تصوير الشخصيات في الدراما التاريخية ... دراسة تحليلية نقدية

Portrayal Characters in Historical Drama: An Analytical and Critical Study

د. عبد الله محمود عدوي [1]*

[1] الجامعة الأمريكية الدولية، فلسطين، adawiedu@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/11/23	تاريخ القبول: 2021/12/09	تاريخ النشر: 2021/12/17

ملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى البحث في تصوير الشخصيات التاريخية في الدراما التاريخية، لفهم كيفية تعامل الدراما التاريخية العربية والإسلامية مع هذه الشخصيات في معالجاتها الفنية والدرامية. وتهدف إلى دراسة كيفية تصوير الشخصيات التاريخية وتشكيل الصور الذهنية عنها لاسيما عند تناول شخصيات ذات حساسية على الصعيد الديني والاجتماعي. استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي لفهم ونقد واقع الدراما التاريخية. خلصت الدراسة إلى أن تمثيل شخصيات ذات حساسية اجتماعية ودينية كشخصيات الصحابة والعلماء ينبغي أن يراعي مناسبة الممثلين وخلفيتهم الدرامية، وعدم اقتصار الاهتمام بالجانب الدرامي الأدائي فحسب، نظراً لانعكاس ذلك على الصور الذهنية التي تشكل لدى المشاهدين عن الشخصية التاريخية، فيصبح المشاهد يرى الشخصية التاريخية في صورة الممثل كلما شاهده في مسلسل أو فيلم آخر، وهنا تكمن أهمية الاهتمام في كيفية محاكاة الشخصيات الاعتبارية التاريخية، وعدم تركها لأهواء منتجي الدراما. كما أن تصوير الشخصيات يتطلب الربط بين الموروث التاريخي عن الشخصية الممثّلة وبين محاكاتها والاعتماد على المعلومات الصحيحة في الحوار، فيما يمكن في حال شُحِّها الانطلاق من معلومات صحيحة مع المحافظة على صورة إيجابية للشخصية فيما يعتمد منها على الخيال والتي لا تمثَّل فيها الشخصيات ذات حساسية دينية واجتماعية.

كلمات مفتاحية: الدراما التاريخية، الشخصيات التاريخية، تصوير الشخصيات، التاريخ.

Abstract:

This study seeks to research the portrayal of the historical characters in historical drama, to understand how the Arab and Islamic historical drama deals with these characters through its artistic and dramatic treatments. It aims to explore how historical characters are portrayed as well as to discover the formation of mental images about them in the in historical drama that deals with sensitive characters on the religious and social levels. The study used the descriptive analytical method to understand and criticism the reality of historical drama. The study concluded that the historical drama should choose suitable actors whose dramatic background suits historical characters with social and religious sensitivity, such as the characters of the Sahaba and scholars. The dramatic aspect and the performance should not be the only consideration as this is reflected on the mental images that the viewers have about the historical character, so the viewer will see the historical character in the image of the actor whenever they see him/her in another series or movie, hence we must stress the importance of paying attention to the simulation of historical legal characters, and not leaving it up to the discretion of drama producers. Also, portraying the characters requires a link between the historical legacy of the character represented and simulating them and relying on correct information in the dialogue, on the other hand, However, in the absence of it, it is possible to rely on some correct information and maintain a positive image of the character in what depends on the imagination of drama in which sensitive characters are not represented.

Keywords: Historical drama, characters, portrayal of characters, history.

* المؤلف المرسل: د. عبد الله محمود عدوي adawiedu@gmail.com

مقدمة:

تعتبر الدراما من الفنون التي مارسها البشر في حياتهم، وطوروا استخدامها والاستفادة منها على مر السنين، واتخذوا لها أشكالاً مختلفة تتناغم وبحثهم عن المتعة والتسلية، كما أن الدراما فن يحمل رسالة يسعى إلى إيصالها، مستفيداً من الجاذبية التي يمتاز بها التمثيل. وتمثل الدراما التاريخية واحدة من الحقول المهمة في الدراما، حيث يتوفر الكثير من الأعمال التي عالجتها، سواء من أفلام تاريخية أو مسلسلات أو أعمال مسرحية.

يشكل التاريخ مصدراً مهماً للكثير من الأعمال الدرامية التي حاكت شخصياته وأحداثه، ويعتبر التطرق للتاريخ الإسلامي في الدراما من الموضوعات التي تحفها حساسية من قبيل التمثيل ابتداءً، والذي اختلف عليه علماء الشريعة، فضلاً عن كيفية التصوير والتمثيل، لذا، تظهر خصوصية تستوجب التعامل بدقة مع هذه الشخصيات ومحاكاتها، وإعادة تمثيلها.

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في البحث في تصوير الشخصيات التاريخية في الأعمال الدرامية التاريخية، لفهم العلاقة بين صورة الممثل والشخصية التاريخية، وكيفية تعامل الدراما التاريخية العربية والإسلامية مع هذه الشخصيات في معالجاتها الفنية والدرامية.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى البحث في كيفية تصوير الشخصيات التاريخية في الدراما التاريخية وتشكيل الصور الذهنية عنها في دراما التاريخ الإسلامي التي تتناول شخصيات ذات حساسية على الصعيد الديني والاجتماعي.

أسئلة الدراسة:

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة الآتية:

كيف تصور دراما التاريخ الإسلامي الشخصيات التاريخية؟

ما التوجهات والأساليب الدارجة في الدراما التاريخية في التعامل مع تصوير الشخصيات؟

منهجية الدراسة:

استخدمت هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي لفهم واقع الدراما التاريخية وتحليله ونقده، واستقراء واستكشاف كيفية تصوير الشخصيات في المسلسلات والتوجهات في التعامل مع المعلومات في الدراما التاريخية.

1. الدراما التاريخية

حظيت الدراما التاريخية ومنذ وقت مبكر من القرن الماضي، باهتمام واضح في الإعلام العربي والإسلامي، فأنتجت الكثير من المسلسلات والأفلام التي عالجت فترات مختلفة من التاريخ الإسلامي، وتناولت سير شخصيات تاريخية من مختلف العصور، حتى إن بعض السنوات شهدت كثافة في الإنتاج الدرامي التاريخي. وأسهم في انتشار هذه الأعمال دخول البث الفضائي وامتداده في مختلف دول العالم الإسلامي. وقد برز في العالم الإسلامي خاصة على الصعيدين العربي والتركي والإيرني اهتمامٌ واضح بالماضي والتاريخ في الأعمال الدرامية، حيث قدمت شركات الإنتاج أعمالاً درامية تاريخية حظيت باهتمام كبير لدى الجمهور القطري فضلا عن العربي الذي باتت تدبلج وتترجم له تلك الأعمال، ففي الدراما العربية أنتجت الكثير من المسلسلات كمسلسل "عمر" الذي قدّم في رمضان 2012، ومسلسل الحسن والحسين، وغيرها الكثير. كما قدمت الدراما التاريخية التركية عدداً من المسلسلات التي حظيت بنسب مشاهدات عالية، قدمت من خلالها مراحل مختلفة من التاريخ الإسلامي السلجوقي والعثماني، أبرزها مسلسل "قيامة أرطغرل" و"قيامة عثمان" و"عاصمة عبد الحميد" وغيرها من المسلسلات.

1.1 مفهوم الدراما التاريخية

الدراما هي الفن الذي يحاكي أفعال الإنسان وسلوكه عن طريق الأداء التمثيلي، والذي يقدم في إطار فني من خلال المسرح أو أي جهاز مثل التلفزيون أو الإذاعة. (حمدي، 1994)

تعتبر الدراما التاريخية أحد حقول الدراما وظهورها مرتبط بالدراما عموماً، غير أن لها خصوصية؛ فالمسرحيات القديمة اعتمدت التاريخ والأساطير التي شكلت الملهم الحقيقي لها ومصدر مادتها.

يقصد بالدراما التاريخية الأعمال الدرامية التي تتناول قضايا وأحداث تاريخية، وتحاكي سير الشخصيات التاريخية، من خلال إعادة تمثيل الواقع وفقاً لنصوص تاريخية تحوّل إلى دراما روائية. ومن ذلك أيضاً دراما التاريخ الإسلامي التي تتناول أحداثاً وشخصيات من التاريخ الإسلامي، وتعيد صناعة ذلك الواقع من خلال المحاكاة.

1.2 الدراما والتاريخ

الإنسان بطبعه جُبل على حب المعرفة والاستزادة منها، فهو شغوف إلى معرفة أخبار من سبقوه، كما يتلهف لمعرفه ما هو آت، ومن هنا يأتي اهتمام الإنسان بالتاريخ وشغفه في سماع ومشاهدة ما يخص أسلافه في هذه الأرض، ومع استحداث وسائل الاتصال المعاصرة دخل التاريخ والقصص والحكايات كمواد تعالجها هذه

التقنيات، وصولاً لما دفعت به الدراما التلفزيونية التي طرقت المجالات المختلفة في الحياة معالجة لها، حتى إنها لم تترك مجالاً إلا وفيه بصماتها، لتقدم ما يريده المشاهد في طبق منمق وجذاب يعيش من خلاله أجواء الحدث وصراعاته.

يُعتبر التاريخ والأساطير مصدران من مصادر التأليف المسرحي في الآداب القديمة والحديثة، فمن معينهما يستمد المؤلف المسرحي مادته الخام ليصوغ منها عمله الفني الذي يبث رؤيته الفلسفية الخاصة، ويزاول قدرته التقنية على تشكيل الأحداث المختارة وتفسير دوافع شخصياته؛ (حمادة، 1988) فالأساطير التي تدور حول الشخصيات القديمة والآلهة في التاريخ اليوناني شكلت مصدراً هاماً لكتاب الدراما في بدايات ظهورها، والتاريخ كان ملاذاً لكتاب الدراما قديماً، وهو اليوم يشكل مخزوناً مهماً لتحويل التاريخ المكتوب إلى دراما، لذا فإن العلاقة وثيقة بين التاريخ والدراما التي نقلت المعرفة بالأحداث والشخصيات التاريخية من الدوائر العلمية المتخصصة إلى دوائر معرفية عامة وواسعة، لا سيما أنها تمتلك أسلوباً خطابياً يختلف عن المنهج العلمي الجدي في عرض التاريخ، حيث بات بمقدور الدراما التاريخية أن تكون عاملاً فعّالاً في صناعة الوعي وتحقيق الفهم المجتمعي للكثير من القضايا، بصورة فاقت قدرة الكتب والمدارس التقليدية على إحداث هذا الأثر.

استخدم الإنسان في مختلف الأمم والحضارات الدراما في أفراحه وأحزانه، وفي رخائه وشدته، وسلمه وحربه، وامتد هذا الاستخدام منذ فجر الحضارات القديمة وحتى العصر الحديث، وفي ظل مختلف العقائد والديانات، والعصر الحديث فتح للدراما والدراما التاريخية خصوصاً أوسع الأبواب منذ فجر نهضتنا الحديثة قبل قرنين من الزمان، وذلك إدراكاً من رواد هذه النهضة أن سلاح الدراما هو أكثر فاعلية في التربية والتعليم والتهذيب والتثقيف، وفي تجذير المقاصد والغايات في نفوس المشاهدين، ومن ثمّ في تحقيق التغيير والتطوير. (عمارة، 2005)

يعتبر التاريخ الإسلامي مخزنا مهما للأعمال الدرامية وملاذا لشركات الإنتاج الدرامي وكتّاب السيناريو لاستيحاء أفكار موضوعات أعمال درامية، حيث اهتمت الفضائيات بالدراما التاريخية وأولتها مكانة وسط برامجها ومادتها؛ فالمسلسلات التاريخية في العالم العربي تستهوي الجماهير وتجذبهم إليها، لأن الإنسان العربي ماضوي بطبعه، كثير المفاخرة بتاريخه، شديد الاعتداد به، لذا فإن الدراما تشكل فرصة لمن لم يقرأ هذا التاريخ أو لا يملك الوقت الكافي لقراءة تراث أمته الضخم بعصوره وأعلامه، ورجاله ودوله، وأحداثه ونوازله. وهناك سبب آخر يجذب المشاهد العربي لهذه الدراما التاريخية، وهي أنها تحيي في داخله ما يفتقده الآن من انتصارات سياسية، وفتوحات عسكرية ونهضة حضارية في مختلف العلوم والفنون. (السيد، 2013)

الدراما التاريخية ليست مجرد فن للتسلية والترفيه فحسب؛ إذ إن هذا الفن أضحى ركيزة مهمة في البناء والنهضة، والأعمال الدرامية انتقلت من كونها برامج ثانوية في حياة الناس، إلى صانعة للعقلية التي تفكر بها الأمة، والحافظة التي تخزن في ثناياها ماضيها وترسم بها مستقبلها، لذا فإن كتّاب الدراما احتلوا مرتبة متقدمة في كتابة التاريخ في عقول الناس في المجتمعات المعاصرة أكثر من المؤرخين أنفسهم والمتخصصين في التاريخ.

تبحث المؤسسات الرسمية وغير الرسمية عن مداخل التأثير والإقناع لجمهورها لتسويق أفكارها، لأن الهدف من الخطاب الإعلامي هو جذب المشاهد وإقناعه بالأفكار، لذلك فإن البحث يكون عن وسائل اتصالية وأساليب ناجعة، والدراما التاريخية واحدة من تقنيات الخطاب المهمة التي عني بها علماء النفس والاجتماع لمعرفة توجهات الناس نحوها، ودوافعهم لمشاهدتها، "فدوافع الجمهور إلى مشاهدة فيلم تاريخي هي؛ الفضول، والرغبة في الهرب من الحاضر، واستخلاص دروس التاريخ التي يحملها الفيلم في طياته" (العريس، 2008)، ومعرفة هذه الدوافع مهم في فهم الجمهور وكيفية صناعة الرسالة وتوجيهها إليه.

1.3 تمثيل شخصيات الصحابة في الفكر الإسلامي

ترتبط الدراما التاريخية بالشخصيات الاعتبارية التي يغلب على شهرتها ورمزيتها البعد الديني أو السياسي في عموم الإنتاج الدرامي العربي والإسلامي، وقد بدأ الاهتمام الديني بالدراما مع ظهور السينما في العالم العربي، ودخولها إلى البيوت عبر شاشات التلفاز، حيث كانت قضية العصر التي تباينت الوجهات والفتاوى بشأنها، بين التحريم، والإباحة، وبين الشروط والضوابط التي وضعها بعض العلماء لتوفيرها في هذا الفن، لاسيما وأن الاستفادة العربية من فن الدراما بادئ الأمر كانت بنقل الفن بكل إيجابياته وسلبياته من الغرب إلى الجمهور العربي، دون مراعاة خصوصية هذا المجتمع، وعدم الاكتفاء بالاستفادة التقنية، مما خلق موجة نفور لدى كثير من علماء المسلمين تجاهها.

اتجه بعض العلماء المسلمين إلى النظرة السلبية نحو الدراما، نظراً للتطبيق السلبي في الواقع، والذي كان له ارتدادات سلبية هدامة على المجتمع الإسلامي، إلا أن آثار التطبيق السلبية لم تكن المعيار الوحيد للحكم على هذا الفن؛ فالتجرد من التطبيق السلبي والنظرة الموضوعية من علماء المسلمين للدراما كتقنية اتصالية في التوجيه والترفيه، دفعت بعض العلماء والمفكرين المسلمين إلى الاهتمام في قضايا الدراما والسينما كأساليب تأثير مهمة في عصرنا الحاضر.

تعتبر قضية تمثيل الصحابة في الأعمال الدرامية من القضايا المعاصرة التي اختلفت فيها آراء العلماء، فظهرت هذه القضية بعد دخول الدراما العالم الإسلامي وإنتاج أعمال درامية تحاكي تاريخ الصحابة وبعثة الرسول _صلى الله عليه وسلم_، حيث ظهرت آراء متباينة إزاء ذلك بين مبيح لتمثيلهم، ومحرم لمحاكاة شخصياتهم، ومن يرى السماح بتمثيل بعضهم وتحريم آخرين.

من العلماء من أفتى بتحريم تمثيل دور أحد من الصحابة، وتحريم العمل الدرامي الذي يحتوي على تمثيلهم. (زيد، 2008) ويرى ابن باز_ رحمه الله_ تحريم تمثيل الصحابة انطلاقاً من تحريم التمثيل ابتداء وتحريم المحاكاة؛ فتمثيل شخص لآخر وتقمصه، كأن يقول: أنا عمر أو أنا علي بن أبي طالب أو أنا أحمد بن حنبل؛ فهذا كذب لا يجوز، وهذا تزوير ليس تمثيلاً، لأنه ليس بأبي حنيفة وليس بأحمد وليس علياً وليس بفلان، وإذا كان يتشبه بالكفرة صار أكبر وأشد، كأن يقول أنا أبو جهل أو أنا عتبة بن أبي ربيعة أو أنا أبو لهب، فهذا أقبح لأنه مثّل نفسه بالكافر وكذب أيضاً. (باز، د.ت) كما حرم مفتي عام المملكة العربية السعودية آل الشيخ تمثيل أدوار الصحابة وخطأ تمثيل عمر بن الخطاب معتبراً أن هذا التمثيل خطأ كله وحط من قدرهم. (آل الشيخ، د.ت)

ذهب فريق آخر إلى وجهة نظر أخرى، فقد صدرت فتوى من لجنة الفتوى بالأزهر عن حكم تمثيل الشخصيات الإسلامية إلى "عدم جواز تمثيل كبار الصحابة؛ كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن والحسين ومعاوية وأبنائهم رضي الله عنهم جميعا؛ لقداستهم، ولما لهم من المواقف التي نشأت حولها الخلافات وانقسام الناس إلى طوائف مؤيدين ومعارضين ... أما من لم ينقسم الناس في شأنهم؛ كبلال وأنس وأمثالهما –فيجوز ظهور من يمثل شخصياتهم بشرط أن يكون الممثل غير متلبس بما يمس شخصية من يمثله" (الأزهر، 1379هـ). وبالرغم من تحريمها لتمثيل هذه الشخصيات تؤكد لجنة الفتوى على أن التمثيل في ذاته أداة ثقافية، وكثيراً من وقائع التاريخ وأحداث السياسة ومواقف الأبطال في ساحات الجهاد والدفاع عن الأوطان ينبغي أن يتجدد ذكرها وينادى بها؛ لتكون فيها القدوة الحسنة للأجيال الحديثة، وخير وسيلة لإحياء تلك الذكريات أن يكون القصص عنها بتمثيلها. (الأزهر، 1379هـ) لكن في رد هيئة كبار العلماء في دورتها الثالثة المنعقدة في 1393/4/1هـ على شركة "لونا فيلم" من بيروت بشأن اعتزام الشركة عمل فيلم سينمائي يصور حياة الصحابي بلال بن رباح "فرعاية للمصلحة، وسدا للذريعة، وحفاظاً على كرامة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يجب منع ذلك" (الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، 2001).

على بالرغم من الآراء التي عارضت تمثيل الصحابة وحرمته، إلا أن هناك من العلماء المعاصرين من كانت لهم آراء خلاف ذلك، بل إنّ منهم من شهدت مواقفهم تحولاً إلى الإباحة، يقول القرضاوي: "إن العلماء

حرموا تمثيل بعض الشخصيات كالرسل والأنبياء، وأمهات المؤمنين والعشرة المبشرين بالجنة من الصحابة ولاسيما الخلفاء الراشدون؛ أبو بكر وعمر عثمان وعلي رضي الله عنهم، وأما من هم دون هؤلاء من الصحابة مثل خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، ومعاوية بن أبي سفيان، وحسان بن ثابت وأمثالهم فلا حرج في تمثيلهم، فلا أرى بأساً من القيام بعمل درامي تمثل فيه شخصية خالد رضي الله عنه" (القرضاوي، 2006). غير أن القرضاوي أجاز بعد ذلك تمثيل الصحابة والخلفاء الراشدين وكان من المجيزين لمسلسل عمر وعضواً في اللجنة الشرعية المشرفة عليه.

يرجع سبب تحريم بعض العلماء المعاصرين تمثيل الصحابة إلى إجلال الناس لهم رضي الله عنهم، والخوف من تمثيلهم بخلاف صورتهم الحقيقية، فمقامهم أجلُّ من أن يُصوَّر بطريقة قد تُفضي إلى تشويه صورتهم، وقد حصل التشويه في غيرهم، كما هو حال كثير من الأفلام التاريخية، حيث مُثِّلَتْ بطريقة لا تعكس حقيقة التاريخ، لا في اللباس ولا طريقة الحديث، ولا في كثير من التصرُّفات، بل ربما صَوَّرت واقعَ الناس قديماً بنقيض الحقيقة، وهذا في التاريخ لا كبير ضررٍ فيه، أما في قدواتنا فالأمر يحتاج مزيد حيطة وحذر، لذلك لا غرابة في أن يتحرَّج بعض العلماء من الفتوى بالإباحة، لا لحرمة التمثيل في ذاته، بل حمايةً لجناب الصحابة الكرام، وإلا فالذي يظهر أن الأصل في ذلك هو الإباحة إذا مُثِّلَ الحال تمثيلاً صحيحاً، فضلاً عن أن التحريم يحتاج إلى دليل، وليس في التحريم نصٌّ من حديث ولا أثر. (آل مبارك، 2010)

يتبين أن آراء بعض العلماء تجاه تمثيل الصحابة انطلقت مما عليه حال الدراما التي عالجت شخصياتهم، وما يحيويه بعضها من مغالطات وسوء تمثيل يتعلق بالمعالجة الدرامية في العالم العربي خصوصاً، تدفع العلماء للاستناد للتطبيق السلبي للدراما في إصدار فتاوى تحرم تمثيل الصحابة.

يظهر أن هناك عدداً من علماء الشريعة ممن لم يتوقفوا عند إباحة تمثيل الصحابة بضوابط وضعوها لذلك فحسب، بل شاركوا في الإشراف على أعمال درامية مثل مسلسل عمر الذي أشرف عليه كلاً من يوسف القرضاوي وسلمان العودة وعبد الوهاب الطريري وغيرهم.

إن شخصيات الصحابة ذات حساسية بالنسبة للمسلمين، فهم من نقلوا لنا أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وما يصدر عنهم من أقوال أو أفعال وسلوك ليس كما يصدر عن سواهم، لذلك فإن تصويرهم يعطي انعكاساً للتربية النبوية، وهذا محدد مهم في المعالجة الدرامية لهم ومصدر تخوف لدى الأوساط الفقهية خشية من التصوير السلبي لهم، وهو ما تسعى الدراسة لبحثه انطلاقا من البعد الدرامي.

2. تصوير الشخصيات في دراما التاريخ الإسلامي

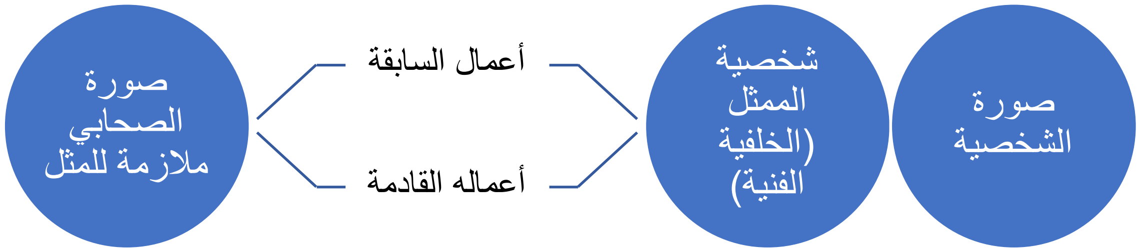
تتميز الدراما الروائية التي تعالج التاريخ الإسلامي عن الأعمال الدرامية الأخرى بتناولها أحداثاً تاريخية وسير شخصيات اعتبارية حساسة على المستوى الديني والرمزي كالصحابة والعلماء، ما يستدعي خصوصية في تمثيلها ومحاكاتها ومراعاة الصدق والدقة في النقل، وإعادة التمثيل بما يتوفر من مادة نصية مدققة ومنقحة بدل الاعتماد على الخيال، وتجنب المعلومات غير الصحيحة والمسيئة للشخصية، كما يحدث في بعض الأعمال الدرامية التاريخية الروائية التي ينصب اهتمام منتجوها على ملء العمل الدرامي بالأحداث على حساب المصداقية والدقة على الرغم من توفر المعلومات، لكن في المقابل قد لا تتوفر معلومات كثيرة عن شخصية ما، فكيف تتناولها الدراما التاريخية؟ وهل يصح إدخال الخيال؟ وهل من ضوابط لذلك؟

1.2 تصوير الشخصيات التاريخية

على الرغم أن قضية تمثيل الصحابة كانت من القضايا التي لم يتفق عليها علماء الشريعة المعاصرون، إلا أن بعض المسلسلات مثل مسلسل "عمر" و"الحسن والحسين" ومسلسلات أخرى اقتحمت هذا الأمر بسماح بعض العلماء المسلمين تمثيل الصحابة، بعدما كان الحجر على التمثيل يطال العشرة المبشرين بالجنة؛ ففي مسلسل "عمر" على سبيل المثال تم تمثيل جميع الصحابة، وكانت أبرز الشخصيات التي حظيت بحضور في المسلسل إلى جانب شخصية عمر، هي شخصية أبي بكر وعثمان وعلي. ويشكل سماح العلماء بتمثيل الصحابة تحولا في الخطاب الديني، وانعطافاً كبيراً في التمثيل الدرامي الذي دخل مرحلة النقل المصور والدرامي، بعد أن كان يقتصر على الصوت من وراء حُجب.

على الرغم من السماح بتمثيل الصحابة، إلا أن دراسة تصوير الشخصيات التاريخية خاصة الصحابة منها ومناسبة الممثلين وشخصياتهم لتمثيلهم من الأمور المهمة، حيث إن لهذا الأمر انعكاسات على صعيد الصور الذهنية التي تُشكل لدى المشاهدين تجاه الشخصيات، لذا، من الأمور المهمة هنا البحث في الخلفية الدرامية التي ينحدر منها الممثل لمعرفة إنتاجاته السابقة، والصورة التي يحملها المشاهدون عنه من خلال أعماله، والذي سيحمل صورة صحابي جليل هو مثل أعلى لدى المسلمين، وبالتالي، فإن الصورة القديمة والحاضرة ستمتزجان وتؤثران في تشكيل الصورة الجديدة، وليست الصورة المستقبلية بمعزل عن هذا المثلث الذي ستؤثر فيه المشاهد التي سيشاهد فيها الجمهور تلك الشخصية التي مثلت الصحابي يوماً، حيث سيرى في الممثل شخصية ذلك الصحابي، لذا، فإن الأعمال التاريخية التي تتناول شخصيات لها أهميتها الاجتماعية والدينية تتطلب اجتباءً دقيقاً لشخصيات الممثلين، تتناسب والشخصيات الاعتبارية المحترمة لدى شرائح المجتمع، ويتناسب والموروث التاريخي المتوفر لدى الجمهور عن تلك الشخصيات.

عنوان الشكل 1: صورة الممثل والشخصية التاريخية



المصدر: خاص بالدراسة

اتصاليا، يعتبر الإطار المرجعي للمشاهد مخزنا للصور الذهنية التي يحتفظ بها، والتي تعتمد على ما يشاهده ويخزن فيه، ويستدعى لاحقا مع أي عملية تفكير أو تذكر أو ذكر للشخصية التي احتفظ بصورها، وفي حالة الشخصيات التاريخية فإن المشاهد ليس لديه أية صورة عن الشخصية سوى تلك التي شاهدها في العمل الدرامي، لذلك لن يستدعي سوى تلك الصورة.

في بعض المسلسلات التاريخية العربية التي تضمنت تمثيل الصحابة فإن الهمّ الأكبر في اختيار الممثلين كان القدرة على أداء الأدوار، وهو أمر مطوب بذاته، لكنه غير كاف عند تناول شخصيات ذات حساسية اجتماعية ودينية، فمناسبة الممثل وحسن اختياره أمران متلازمان، وهذا ما لا تلتزم به الكثير من الأعمال الدرامية التي تتناول التاريخ الإسلامي والتي يقتصر اهتمامها بالجانب الدرامي الأدائي فحسب، فيما إن للرسالة وأثرها على الجمهور المشاهد وقدرتها على خلق الصور الذهنية الإيجابية أهمية كبيرة. ويمكن معاينة ذلك بالرجوع إلى الأعمال الدرامية المصرية والسورية التي تعد الأكثر في معالجة التاريخ؛ فالممثلين هم ذاتهم يمثلون الشخصيات الاعتبارية والاجتماعية وحتى الكوميدية.

تصوير الشخصيات يتطلب الربط بين الموروث التاريخي عن الشخصية الممثلة وبين محاكاتها، وعلى الرغم من نجاح بعض المسلسلات في هذا التصوير كما هو الحال في مشهد حمزة بن عبد المطلب في فيلم "الرسالة"، إلا أن هناك إخفاقاً في مسلسل "عمر" على سبيل المثال في ذات المشهد، حيث اتسمت شخصيته بصوت ناعم ركيك، وكان قصير القامة، وشخصية عادية ليس هناك ما يميزها، فيما المعروف عن حمزة عند المسلمين أنه صياد الأسود ولشخصيته هيبة كان يهابها كفار قريش، وهو مثل أعلى للقوة (منير، 1998) (خالد، 2000)، وهذا يتناقض مع صوته الناعم وقصر قامته.

تصوير بعض الشخصيات بمظهر فكاهي كالصحابي سراقة بن مالك في مسلسل "عمر" حينما لحق الرسول_ صلى الله عليه وسلم_، وحينما لبس سواري كسرى، إضافة إلى مشهد تولية أبي هريرة البحرين، حيث

أظهر المشهد أبو هريرة في مظهر فكاهي يضحك القوم من أقواله. كما إن شخصية علي بن أبي طالب التي تحظى باحترام وإعجاب المسلمين، لما تكونت عنه من صورة الرجل القوي الحكيم (عبد البر، 1992)، فقد بدا في مسلسل "عمر" رجلاً هزيل الجسد لا تتناسب وصورته القوية التي صرع فيها عمرو بن ود في غزوة الخندق، وفتوحاته، إضافة إلى أنه ظهر وكأنه شخصية عنيدة جافة، نظراته حادة لا سبيل للابتسامة والمرح إلى نفسه.

أما تصوير شخصيات النساء في المسلسلات فقد كان في اتجاهين؛ الأول غيب كثيراً من نساء الصحابة سوى المشهورات منهن، فيما اتجه بعضها إلى إبراز النساء غير المسلمات سواء من نساء قريش أو الفرس أو الروم، وقد حافظت بعض المسلسلات على ضبط ظهور النساء بملابس مناسبة، فيما ذهبت بعضها إلى تصويرهن في بيوتهن ومن غير حجاب، بل إن بعضها كفيلم "الرسالة" تضمنت مشاهد رقص لنساء قريش. أما المسلسلات التركية والإيرانية فكان ظهور النساء كما الرجال، لكن التركية صورت النساء في اتجاه أبرز دورهن في الحكم والسيادة، مع دور محافظ في بعض المسلسلات ودور استعراضي للجمال في بعضها الآخر مثل "حريم السلطان".

ليست الشخصيات التاريخية كلّها سواء في حساسية تمثيلها؛ فشخصيات الصحابة لها خصوصية، فهي تتطلب تصويراً دقيقاً في الأفعال والأقوال وعموم المحاكاة، كما إن شخصيات التابعين وعلماء الشريعة خصوصاً البارزين منهم وأئمة المذاهب والنماذج التي يَنظر إليها المسلمون كقدوات، يتطلب تمثيلها مراعاة ذلك، إلا أن واقع الدراما التاريخية وفي عموم الإنتاج الدرامي التاريخي لم يحرص منتجوه على الحفاظ على الصورة المثالية للشخصية، فكم من الشخصيات صورت على غير صورتها الحقيقية؛ فشخصية الإمام أحمد بن حنبل على سبيل المثال صورت كشخصية متشنجة متعصبة صعبة المزاج، وصور بعض العلماء والشخصيات بصور شتى. ومن الأمثلة على ذلك:

- **مسلسل الليث بن سعد**، وهو مسلسل من الإنتاج المصري، تناول حياة الإمام العالم الليث بن سعد الذى اشتهر بعلمه وورعه وتقواه، ويسرد المسلسل حياة الليث منذ نشأته في مصر وإنشائه عدة مدارس لدراسة علم الحديث والفقه وتفسير القرآن التي تخرج منها الكثير من العلماء وعلى رأسهم البخاري ومسلم والشافعي، ويكشف المسلسل عن سخاء ابن سعد في الإنفاق على الفقراء والمحتاجين، ويبين ترحاله بين الأمصار الإسلامية، إلا إن الكثير من التصويرات والمشاهد الدرامية التي تشوه الدولة الإسلامية وتعكس ظلم الولاة وطغيانهم لدرجة إجرام السلطة، حيث كان جنود الوالي ينهبون أموال الناس ويأخذون بناتهم حسب معالجة المسلسل وأمام الليث بن سعد في مخالفة

لما ورد في التاريخ من مكانة الليث الكبيرة لدى الخلفاء والولاة، فقد كان ولاة مصر وقضاتها لا يقطعون أمرًا دون مشورة الليث. (العسقلاني، 2004)

- **مسلسل خامس الخلفاء الراشدين:** هو عمل درامي مصري يعالج شخصيه عمر بن عبد العزيز، وحياته وخلافته، وفترة حكمه، إلا أن المسلسل كما الأعمال الدرامية المصرية يشوبه الكثير من المغالطات التاريخية، ويصور الشخصيات التاريخية الإسلامية بانغماسها بالفتن والملذات، والمبالغة في تصوير المرأة من نسائهم وهي متبرجة (زوجة عمر)، حتى إن الدراما تدخل إلى خصوصيات العلاقة الزوجية وهو أمر ليس له أثر أي مرجع تاريخي، وإنما هو من نسج الخيال.

تصوير شخصيات الدولة الأموية في المسلسلات العربية كرس صورة الصراع وسفك الدماء والقتل والانغماس في الملهيات عن تلك الدولة ورموزها، فيما أن الصورة التاريخية والموروث الذي نراه في واقعنا يؤكد أنها دولة بنت حضارة ما زالت آثارها ماثلة في كل بقعة كانت عليها، وتركت لنا علوما شتى، وكان لسلاطينها فضل في بناء نظام سياسي وإداري فريد، وغيرها من الأمور التي لا تركز عليها المسلسلات في تصوير تلك الشخصيات.

كما أن بعض المسلسلات كان لها توجهات نحو تكثيف رسائل معينة عن شخصيات تاريخية لم تتوفر عنها معلومات كافية، بل إن منها ما نسبت للشخصيات ما لم تذكره المراجع التاريخية، فعلى سبيل المثال ركزت بعض المسلسلات التركية على الخيانة التي ألقت بظلالها على قادة وأمراء في الدولة السلجوقية كانوا ذوي نفوذ وشأن، كما هو الحال في مسلسلات "قيامة أرطغرل" و"قيامة عثمان" و"عاصمة عبد الحميد" وغيرها، بل إن مسلسل أرطغرل صور الدولة الأيوبية أنها أسيرة الصليبيين، ليس فيها سوى رأس الدولة وما دونه كلهم صليبيين يسيطرون على مفاصلها، وحال الخيانة مستمر إلى أن يأتي المنقذ أرطغرل ليحرر الدولة ويعيدها لأصحابها.

تعزيز هذه المفاهيم السلبية عن الشخصيات التاريخية يؤثر على تصوير النماذج التاريخية وإن كان استدعاؤه من قبيل الإثارة والتشويق وخلق الصراعات، إلا أنه ينعكس على صورة الشخصيات ومثالية التاريخ ونموذجيته في إذهان الناس.

تناولت العديد من المسلسلات قصص الخلفاء والسلاطين وحكام المسلمين وقادة الجيوش وعلماء في مجالات علمية غير دينية وغيرها الكثير من القصص التاريخية، وعلى الرغم من أن حساسية تصوير هؤلاء أقل من الفئات السابقة، إلا أن الشخصيات في الدراما تقسم إلى قسمين؛ نماذج خير، ونماذج شر. وبينهما تتنقل الشخصيات. إلا أن المسار الأفضل استدعاؤه هو تقديم الشخصيات التاريخية انطلاقاً من كونها نماذج خير

لتكون قدوات للمشاهدين لتقليدهم بدل تقديمها بصورة تهز مكانتها واعتباريتها، فتؤثر على صورة المشاهد الذهنية عن الموروث التراثي والماضي الإيجابي لديه، خصوصاً إذا كانت المعلومات المتوفرة عنها قليلة ولا معلومات حول المنحى السلبي في تصويرها.

ما ينطبق على خصوصية تصوير الشخصيات التي يتوفر عنها معلومات تاريخية قد لا يتناسب مع الشخصيات العامة التي تندر معلوماتها أو قد تكون قليلة بحيث لا تمكن كاتب السيناريو من كتابة عمل درامي عنها، خاصة إذا ما كانت الشخصيات التي يتم محاكاتها ليست بذات حساسية شخصيات الصحابة والعلماء، فبعض الشخصيات لا يتوفر عنها سوى معلومات قليلة لكن تم معالجة قصتها في مسلسل يتكون من خمسة أجزاء في كل جزء 40 حلقة كل حلقة تتكون من ساعتين مثل مسلسل قيامة "أرطغرل"، لكن هذا التصوير الذي بني على الخيال قدم شخصية إيجابية وصورها بأفضل صورها، فانطلق من معلومات صحيحة ونسج عليها قصة درامية خيالية مع الاستفادة من الأحداث المعاصرة له وإقحامها في السيناريو، لكننا نتحدث عن شخصية ليست ذات حساسية دينية، لذلك، نجد نجاح الكاتب الدرامي في تقديم الشخصية، وبالرغم من المبالغة في الخيال إلا أن المعالجة كانت مناسبة.

بما أن الشخصيات التاريخية هي نماذج ذات رمزية اجتماعية وفكرية ودينية، وتمثيل الماضي بعراقته وقداسته لدى المجتمعات المعاصرة، فإن تمثيلها يستوجب التصور الإيجابي والحرص على تقديم هذه النماذج بأفضل صورة حتى لو لم تكن هناك معلومات كافية لخلق تلك الصورة، فإن الضرورة الدرامية تتطلب إضافة جو درامي من وحي كاتب السيناريو، لكن هذا الجو والغضافات يجب أن تكون ذات بعد إيجابي في تقديم وتصوير الشخصية، وليست بالبعد السلبي الذي يكسر صورة الشخصية لدى المشاهد المعاصر.

خاتمة:

خلصت الدراسة إلى التمايز بين الشخصيات التاريخية وفقاً لحساسية كل شخصية وأهميتها وأثرها وانعكاس صورتها الممثَّلة على صورة الشخصية الحقيقية وما تركته في حياتها، فمنها شخصيات الصحابة رضوان الله عليهم وعلماء المسلمين وفقهاؤهم، التي ينبغي التعامل بدقة مع تصويرهم والمعلومات التي تقدّم في الحوار الدرامي على ألسنتهم. وما سواهم من الشخصيات مثل شخصيات الخلفاء والسلاطين والقادة...، وصولاً إلى الشخصيات ذات الطبيعة الطريفة وغيرها، يراعى الاعتماد على المعلومات الصحيحة، وفي حال عدم توفرها يتم الانطلاق من معلومات صحيحة مع المحافظة على صورة إيجابية للشخصية. فبعض الشخصيات تمثل قدوة

دينية ونموذجاً للأمة ترى فيها مثلاً أعلى، فيما بعضها يشكل نموذجاً في مجال معين قد يكون سياسياً أو علمياً...، فليست الشخصيات سواء في حساسيتها وحساسية المعلومات التي تقدم عنها.

إن هناك خصوصية تقتضيها طبيعة الدراما تؤثر في تصوير الأحداث والشخصيات؛ لذا فالنص الدرامي هو النص المكتوب مبثوثاً فيه الحياة ليجسد واقعاً بتفاصيل لم ترد في النص المكتوب، لكن الكاتب الدرامي يستخلصها مما ورد من معلومات مباشرة في الروية أو من معرفته لطبيعة الحياة وكيفيتها في ذلك الزمان.

إن تصوير الشخصيات التاريخية ومناسبة الممثلين وشخصياتهم لتمثيلهم من الأمور المهمة، نظراً لانعكاسات ذلك على الصور الذهنية التي تُشكل لدى المشاهدين تجاه الشخصيات، فينبغي الاهتمام بالخلفية الدرامية التي ينحدر منها الممثل وإنتاجاته السابقة، والعلم أنه سيحمل صورة صحابي جليل، في ذات الوقت فإنه سيقوم بأعمال درامية مستقبلاً، وبالتالي سيرى المشاهد في الممثل شخصية ذلك الصحابي. بعض أبطال المسلسلات يتم فيها تمثيل صحابة أو علماء بارزين وخلفاء من قبل ممثلين لهم تاريخ فني في أعمال تتنافر وصورة الشخصية التاريخية ولا تتناسب معها، ما ينعكس على انطباع المشاهد عن الشخصية التاريخية وقدرها ومكانتها في نفسه.

3. المراجع

- الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء. (2001). تم الاسترداد من قرار هيئة كبار العلماء رقم (13) وتاريخ 1393/4/16هـ. ص330. ج3.: http://www.alifta.net
- إبراهيم العريس. (2008). *السينما التاريخ والعالم قراءة في العلاقة بين الفن السابع والواقع السياسي والاجتماعي*. دمشق: منشورات وزارة الثقافة – المؤسسة العامة للسينما.
- إبراهيم حمادة. (1988). *هوامش في الدراما والنقد*. القاهرة: المكتبة الثقافية.
- إبراهيم، محمد حمدي. (1994). *نظرية الدراما الإغريقية*. القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر– لونجمان.
- أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني. (2004). *المرحمة الغيثية بالترجمة الليثية*. د. م: مخطوط نُشر في برنامج جوامع الكلم المجاني التابع لموقع الشبكة الإسلامية.
- الغضبان، منير. (1998). *التربية القيادية السابقون الأولون من المهاجرين*. المنصورة: دار الوفاء.
- بكر أبو زيد. (2008). *التمثيل*. الرياض: دار الراية للنشر والتوزيع.
- خالد، محمد خالد. (2000). *رجال حول الرسول*. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

- عبد الرحمن السيد. (26 تموز , 2013). *الدراما التاريخية ضرورة ثقافية*. تم الاسترداد من الوطن أولاين: www.alwatan.com
- عبد العزيز آل الشيخ. (د.ت). *سماحة المفتي يحذر من تمثيل الصحابة ويبين خطورة ذلك*. تم الاسترداد من موقع سماحة الشيخ عبد العزيز آل الشيخ: http://www.mufti.af.org.sa
- عبد العزيز بن باز. (د.ت). حكم *الشرع في الممثلين والمشاهدين، وما يُدفع ويؤخذ من مال لأجل ذلك*. تم الاسترداد من الموقع الرسمي لسماحة للشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز: http://www.binbaz.org.sa/node/18018
- قيس بن محمد آل مبارك. (24 أغسطس, 2010). حكم *التمثيل*. تم الاسترداد من الإسلام اليوم: http://islamtoday.net
- مجلة الأزهر. (1379هـ). حكم تمثيل الشخصيات الإسلامية. *مجلة الأزهر*، ص320.
- محمد عمارة. (2005). *الدراما التاريخية وتحديات الواقع المعاصر*. القاهرة: مكتبة الشروق الدولية.
- محمد يوسف عبد البر. (1992). *الاستيعاب في معرفة الأصحاب*. بيروت: دار الجيل. تحقيق: علي محمد البجاوي.
- يوسف القرضاوي. (17 أكتوبر , 2006). *الموقع الرسمي لسماحة العلامة يوسف القرضاوي*. تم الاسترداد من استشارة شركة رواج للإنتاج الفني المرسلة للدكتور القرضاوي حول مسلسل خالد بن الوليد: www.qaradawi.net